

بدعوة من نقابة المهندسين الأردنيين بالتعاون مع هيئة المعمارين العرب، انعقدت في عمان ندوة حول "تعليم العمارة ديسمبر. اشترك في هذه الندوة ثمانية معماريين أردنيين ورئيس هيئة / في الأردن"، وذلك مساء 19 كانون الأول المعمارين العرب المعمار اللبناني رهيّف فياضي. ولقد توزعت أعمال الندوة على جليستين تمتا مساء الإثنين كانون الأول / ديسمبر 2005. في الجلسة الأولى تحدّثت الدكتورة ليلي البسطامي عن البعد الإنساني في تعليم العمارة، و تحدّث الدكتور محمد ياغان عن تدريس المعايضة البصرية المعمارية من خلال الحقيقة التخيلية (الإفتراضية)، وتحدّث الدكتور علي أبو غنيمه في دراسة أولية لواقع سوق العمل لدى خريجي طلاب العمارة في جامعة الأردن، كما قدم الدكتور محمد الأسد مداخلة عن تحرير تعليم العمارة في الأردن

أمّا في الجلسة الثانية فقد تحدّث الدكتور ياسر صقر عن التدريس المعماري في الأردن بين تشطّي المؤسسة و تحرّر المعلم، و تكلم الدكتور نبيل أبو دية عن خصوصية التعليم المعماري، كما قدم كل من الدكتور ياسر الرجال والمعمارة ريجان عاشور، رؤى في طروحات أساسيات التصميم أما الدكتور رامي ضاهر فقد عرض للفكر النقدي و التعليم المعماري. أما رئيس هيئة المعمارين العرب المعمار رهيّف فياضي فكان حديثه عن المشروع المعماري كونه موضوع التعليم و وسيلته الرئيسية. و لقد وصلنا من مداخلاتهم خمس، سنعرضها فيما يلي

يتطرّق **الدكتور محمد علي جلال ياغان**، من جامعة البترا، لتقنية تدريس العمارة و يعتقد أن الاكتشافات الحديثة في مجال المعلوماتية تساعد على تعليم أكثر جودةً وأكثر فعلاً لمواد عديدة أساسية في هذا التعليم. وإذا هي مكون أساسي في إدراك و تعلم التجارب (Architectural Visual Experience) كانت المعايضة البصرية المعمارية تشكل الوسيلة الأهم في سبيل هذا (Virtual Reality) (المعمارية السابقة، فإن الحقيقة التخيلية (الإفتراضية) اللغة المعلوماتية الأوضح والأسهل (Virtual Reality Modeling Language) الإدراك، في الوقت الذي تشكل ال لاستعمال هذه الوسيلة. وإذا كان إدراك واستيعاب المعايضة البصرية المعمارية، يعتمد في السابق على الرسومات الهندسية والحرّة والثلاثية الأبعاد، فإنه بالإمكان اليوم، ومن خلال الحقيقة التخيلية (الإفتراضية)، الولوج إلى صميم الأبعاد المكونة لجميع الأشياء صانعة العمارة

ما ترجمته: "بشكل عام فإن " Steen Rasmussen " كتب ستين راسموسن "Experiencing Architecture" في كتابه الفن يجب أن لا يشرح، بل أن تتم معايضته، و لكن باستخدام الكلمات يمكن مساعدة الآخرين على معايضته؛" كان تمكننا من المعايضة البصرية المعمارية (ذلك سنة 1957. أما اليوم فلقد أصبحت الحقيقة التخيلية (الأفتراضية) المباشرة؛ فإذا كانت الصورة و الكلمة تعطيان فكرة عن الشكل و عن الحيز، فإنهما لا توفران الفهم الكامل لهما، لأن ذلك لا يتأتى إلا بالمعايضة التي تمكن من النظر إلى الأشياء من زوايا مختلفة و بحسب السرعة المرغوبة، كما تمكن من البدء من حيث نشاء و التحديق بالتفصيل المرغوب و استيعاب الأشكال والاحياز حسب معطياتنا الإدراكية الخاصة... و بعد الاستفاضة بشرح هذه المعطيات و أهميتها في التعليم المعماري، يركّز الباحث على المقرنص كمثل معقد و صعب و نموذجي للعمارة الإسلامية؛ و يعرض لبرنامج معلوماتي يشرح هذا العنصر من كافة جوانبه، و يقربه لفهم دقيق لتربيته و للمراحل المتتالية لتشكّله كما نراه على واجهات غالبية العمارة الإسلامية؛ و يخلص إلى الدعوة لتبني الحقيقة التخيلية (الأفتراضية) كأداة لتحقيق أهداف التعليم المعماري

\*\*\*\*\*

يعتبر **الدكتور محمد الأسد** أن التعليم المعماري في الأردن يعاني من مأزق، أسبابه عديدة، ومظاهره تنبع من واقع الحالة، إذ أن الأثرية الساحقة من المتخرجين ممتعضون من المستوى المتدني لكفاءاتهم، خاصة عندما يتغربون طلباً لتنمية قدراتهم، و يواجهون بالفرق بين بينهم و بين نظرائهم الغربيين؛ و يؤكد الوضع نفسه أصحاب المكاتب المعمارية في الأردن، المشتكون الدائمون من تدني مستوى الكفاءات للمتخرجين الجدد، المضطرون للخضوع لتدريب كئيف ومكلف حتى يصبحوا متأهلين أكفاء للقيام بواجباتهم المهنية و تصبح إنتاجيتهم متلائمة مع متطلبات العمل. أما في الأسباب، فهي برأيه عديدة؛

ويعرض للبعض الأهم منها، بدأً بالإشارة إلى عدم التركيز في العملية التعليمية على النواحي الإبداعية في الإنتاج المعماري، و على الخط المدمر فيما بين الإنتاج المبدع المنطلق من نظر إلى الأمور المعتادة من زاوية جديدة و الأخذ بالاعتبار معنى "عمارة الصمت" حسب المعمار الأردني سهل الحيارى، و بين الإنتاج الركيك المضمون المعتمد على الفارغين "gesticulation" الصراخ" المعماري وعلى التشوير أو التومئة "الاختلاف بالشكل وعلى

- أما السبب الثاني فيعود إلى ضعف في التعليم التقني للعمارة بما له علاقة بالمخططات المعمارية و تطويرها، و بالتفاصيل المعمارية النابعة من خاصيات المواد المستعملة؛ يضاف إلى ذلك استعمال سطحي سيء للكومبيوتر، تتحول الصور بموجبه إلى لوحات انطباعية غشاشة بدل التعبير عن تصاميم معمارية تبين المساحات و الأحجام و تحدد الفراغات و الأحياء

- والسبب الثالث يكمن في المعايير المعتمدة في أقسام العمارة في الجامعات المعنية؛ فهي محلية بحتة لا تراعي التطورات العالمية، و تعتمد أساساً على المعايير الكمية، مهملّة النوعية منها (مع اعترافه بصعوبة تحديد هذه الأخيرة)؛ و هي تستند فيما تفعل على كمية المساحات و عدد الكتب و المعلمين الحاصلين على درجات الأستاذة أو الدكتوراه، خالصاً إلى القول باعتقاداتها العملية التدريبية المتميزة لا تحتاج أساساً إلى أكثر من مدرس ممتاز و ملتزم، وإلى طلاب جديين و جيدين وإلى مكان يحويهم و يحميهم من التقلبات المناخية، معتبراً أن كل إضافة على ذلك تشكل إفاضة ورفداً لا شك فيه، لكنها لا تشكل أساساً في هذا التكوين

- السبب الرابع يتناول تهميش دور الممارسين المعماريين في عملية التعليم، و هو تهميش مضر يطرح مشكلة تعليم مادة عملية ما من قبل أستاذ لا يمارسها ولا يتقنها. إذ كيف لأحدهم أن يعلم العمارة وهو لم يعمر بعد شيئاً يذكر؟ إنه أمر تأخذه دور غريبة لتعليم العمارة بعين الاعتبار، فترتبط محترفاتها بمعماريين محترفين محددين

- أما السبب الخامس والأخير في هذه السلسلة فهو في ضعف كمي و نوعي في الموارد البشرية المخصصة للعملية التعليمية المعمارية

بعد هذا البيان لأسباب الأزمة، ينتقل المحاضر إلى استشراف الحلول التي يقترحها، و يبدأ بعرض لحسنات التخصص في مجالات الاقتصاد، و التحسن البين للأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية في الأردن بسبب تحرير القطاعات المنتجة في الدولة من هيمنة إدارة السلطة؛ و يخلص إلى أن أحد الحلول الممكنة لقضية تحسين تعليم العمارة هو في اعتماد نوع من هذه التخصصية يتلاءم مع طبيعة الموضوع. و يقترح تجنب التغيير في مرحلة البكالوريوس لكونها مرتبطة بحق مزاوله المهنة، مما قد ينتج عنه تعقيدات عديدة و مقاومة شديدة؛ أما طالبي درجة الماجستير فهم عادةً من الذين يريدون زيادة معرفتهم أو التعمق في موضوع معماري معين، ولا يتوقعون تحسين أوضاعهم الوظيفية من جراء ذلك، مما يجعل إصلاح التدريس في هذه المرحلة شأن ممكن و بمدّة زمنية قصيرة

إن تحرير عملية تدريس الماجستير بشكل كامل يؤدي، ينظر المحاضر، إلى تحكّم النوعية بالنتيجة، فلا يبقى من دور تعليمها إلا الأكثر جودة؛ و يؤدي هذا التحسن حكماً، إلى التأثير على التعليم في باقي المستويات.

\*\*\*\*\*

أما الدكتور ياسر صقر فقد تكلم عن مشكلة جوهرية تعاني منها حالياً مؤسسات تدريس العمارة في الوطن العربي بشكل عام، و في الأردن بشكل خاص، و التي شلت قدرتها على أداء مهامها التعليمية بشكل براعي خصوصية العمارة المعرفية. المشكلة قيد البحث، هي حالة التشطي الواقع على جسم العملية التعليمية في تلك المؤسسات، والتي فصلت بعنف بين مفاصله الأساسية، بحيث يصعب تركيب الأجزاء المتباعدة لهذا الجسم- أي شطائاه- مع بعضها البعض، بطريقة تؤدي إلى عملية تعليمية متكاملة و حيوية. هذا التشطي الحادث بين ما هو نظري أو فكري من جهة، و ما هو تقني أو تنفيذي من جهة أخرى، تناوله المحاضر بشكل مفصل باستعمال مادة مرسوم التصميم، التي هي جوهر العملية التعليمية في مدارس العمارة كحالة دراسية، و من خلال بعدين اثنين

أولهما ذهني داخلي، يتمثل في تفكك عملية تدريس مادة التصميم داخل المرسم،

- وثانيهما مؤسسي خارجي متمثل في الرؤية المجتزأة للخطط الدراسية في مؤسسات تعليم العمارة، والتي تمنع تكامل المواد المختلفة التي تدرسها مع بعضها البعض، وبالذات مع مادة مرسوم التصميم، و التي تفوض في المحصلة التواصل ما بين الأستاذ و الطالب

في معرض التحليل، عزا مشكلة التفكير و التشظي هذه إلى الإخضاع المتعسف لطرق و نظم تدريس العمارة، إلى مرجعيات مغايرة لها من مناهج و حقول معرفية أخرى- كالعلوم الطبيعية أو الاجتماعية أو التقنية- من قبل أساتذة العمارة أنفسهم، أو من إدارات هذه المؤسسات المدفوعة بدوافع اقتصادية ربحية، الأمر الذي يعبر عن تجاهل خصوصية العمارة

الخصوصية الممكنة: الجزء الثاني من المداخلة يطرح تصوّراً لمواجهة أزمة التشظي في التدريس المعماري من منطلق أن أي معالجة لهذا الوضع، لا بدّ و أن تنبثق من رحم الواقع المأزوم نفسه لا من بدائل طوباوية وافدة من خارجه. أبرزت الدراسة إمكانيات و طرق مقترحة لتحسين أداء مؤسسات تعليم العمارة من خلال تفعيل عناصر كامنّة فيها، وضمن القيود الأنفة الذكر المفروضة عليها، والتي تمكن هذه المؤسسات كما تمكن المعلم، من استعادة أدوارهم المفقودة. و من خلال الاستشهاد بتجربة المتحدّث في عدد من مؤسسات تدريس العمارة، طرحت المداخلة مثالا للتعامل الإيجابي مع واقع التشظي في هذه المؤسسات، من خلال ابتكار طرق تدريسية فعّالة توحد ما كان متفرقا و تفعل ما هو مهمش- أي توحد بين ما هو نظري و بطني من جهة، وما هو تصميمي و تنفيذي من جهة أخرى، ضمن رؤية تحمل "عنوان" الكيسولة المعرفية

و التي هي عبارة عن نسق لعملية "أما ختام المداخلة، فكان عرضاً لمقومات هذه "الكيسولة المعرفية تعليمية مكثفة تعتمد على الطرفي و الشفوي كعناصر أساسية فيها، معيدة تعريف الأستاذ و المؤسسة من مسيطر و مقولب للمعرفة المعمارية- و هي ممارسة ثبت فشلها- إلى محفز و موجه للطالب، من خلال طريقة تفكير لتعلّم ذاتي تنبثق منه شخصيته المستقلة و المبدعة

\*\*\*\*\*

أما الدكتور ياسر ابراهيم الرّجال و المعمارة ريجان يوسف عاشور من جامعة البترا، فقد عرضا "رؤى في طروحات أساسيات التصميم" مستعرضين "مجموعة من التجارب الشخصية في تدريس مساقات أساسيات التصميم لطلبة السنة الأولى في تخصصات هندسة العمارة و التصميم الداخلي و التصميم الجرافيكي. حيث تعتبر هذه المساقات بداية لتوالي مواد التصميم و أسسه و منهجيته في السنوات اللاحقة، و التي تشكل المحور الفقري للخطة الدراسية لهذه التخصصات، و التي تم ترتيب هيكليّة اكتساب المهارات و المعارف فيها بأسلوبين مترافقين، أحدهما تراكمي من خلال دراسة سلسلة من كما أنهما ركزا. "المساقات بالتتابع، و الآخر متواز، من خلال دراسة مواد مترادفة في نفس المستوى على "أهمية مساقات أساسيات التصميم في الاتصال و التخاطب التعبيري و ربطها بالتفكير التصوري و الإبداعي لدى الطالب. و استعرضا في عجالة خلفية تدريسيها في الجامعات الأردنية منذ بدء تأسيس قسم هندسة العمارة في الجامعة الأردنية في نهاية السبعينات من القرن العشرين إلى يومنا هذا، مع التركيز على تجارب الباحثين في تدريس هذه المساقات في جامعة البترا بشكل خاص، و ما ترتب عليه "من وجود تخصصات تصميمية أخرى تدرس نفس المساقات كالتصميم الداخلي و الجرافيكي

و بعد استفاضة في شرح تجربتين قامت بهما مجموعة من أساتذة جامعة البترا، خلصا إلى ضرورة إجراء دراسة تقويمية لفائدة هذه التجارب، علماً بأن مؤشرات إيجابية عديدة تدفع إلى استكمالها بتجارب أخرى تسعى إلى

- 1- تحقيق التكامل بين التخصصات التصميمية الثلاثة التي تطرحها الجامعة (هندسة العمارة، التصميم الداخلي، و التصميم الجرافيكي) في مسنوباتها الدراسية المختلفة بهدف الوصول إلى المصمم الشامل، و هذا يتطلب تجربة توجيه هذه المساقات لطلبة الاختصاصات المذكورة أعلاه (Total Designer) بمضمون متنوع و متكامل يناسب التخصصات الثلاثة
- 2- إيجاد تكامل أفقي بين مساقات أساسيات التصميم و المساقات الأخرى التي يدرسها الطلبة في مستوى السنة الأولى كالرسم المعماري الحر و تاريخ الفن و العمارة، من خلال تدريس هذه المواد (Thematic Integration) بمنظومة واحدة متوازية
- 3- (Interactive Learning Environment) التركيز على البيئة التفاعلية و أهميتها في عملية التعلّم

\*\*\*\*\*

بدأ المعمار رهيف فيّاض أطروحته عن "المشروع المعماري و تعليم العمارة" بتعاريف ثلاثة عن الكلمات المحورية الثلاث الواردة في ثنائية العنوان "المشروع المعماري، هو موضوع التعليم، وهو وسيلته الرئيسية"؛ فيعرف "المشروع" بأنه ما سوغه الشرع و جعله مباحاً، و هو الأهداف المحددة و المهارات المتعددة و الوسائل العديدة. يمكن تحديده بمكوناته المتنوعة بادئين بموقعه في المكان و الزمان و أبعاده الوظيفية و المنفعية، مارين بالأبعاد التقنية و الاقتصادية لنصل إلي الأبعاد الاجتماعية و الإيدولوجية؛ أبعاد تنضوي كلها تحت مظلة البعد الإنساني الشمولي الكوني. أما في "الموضوع" فتعريفه بالعربية هو أنه المادة والعناصر المكونة له، فيصبح المشروع المعماري الذي هو مادة تعليم العمارة، وسيطرتنا عليه، هو الموضوع. وفي "الوسيلة" أخيراً، وتعرفها لغوياً وهي الأداة والطريقة والسبيل، بشكل المشروع المعماري التعليمي حالة تحريية متكررة، في الذهن و في الصورة، للمشروع المعماري الفعلي المنفذ على أرض الواقع المعقد؛ فيصبح الهدف أيضاً هو الوسيلة، و تتحوّل الفكرة الأساسية إلى أداة

بعد هذا التعريف لتلك المفردات- المقولات، ينتقل المتحدث إلى تعريف تعليم العمارة و مقوماته ومتطلباته، فيبدأ

- بالـ "الاختبار الاجتماعي" الذي يفترض فهماً واضحاً متماسكاً للمجال الاجتماعي المتحوّل باستمرار، و الذي يملئ تحديد موقع العمارة في المجتمع و دورها فيه، كما و إلى حقل التدخل للمعمار المحترف و وجهته. و كون التحوّل الدائم للمجالات الاجتماعية يفرض معالجة لها بالمكان و الزمان، فإن زمننا يتسم باستقطاب عنيف لقوى الرأسمال، المسيطرة على إمكانيات البشر بحيث احتكرت مكامن القوة و قسمت العالم بشكل فظ إلى عالمين، واحد منتج قوي يملك كل شيء، وآخر مستهلك ضعيف لا يملك شيئاً. و لذلك فإن المعالجة السليمة لهذا الوضع الشاذ لا يمكن أن تكون إلا بالمقاومة، و لا خيار اجتماعي لدينا للخروج من المهانة سوى الخيار المقاوم المستند إلى مجتمع مقاوم متسلح بثقافة مقاومة. و في سبيل ذلك يقترح إطلاعاً عميقاً و شاملاً على تراثنا العام، واطلاعاً منهجياً تشريحياً على نماذج السكن في هذا التراث، و مقارنة عقلانية موضوعية لعمارة الحدائث الأصيلة، من منطلقاتها الإنسانية التقدمية حتى نهاياتها البليدة النافهة؛ كل ذلك في سبيل تسليح معمارنا المعاصر بكم معرفيٍّ ومقدرة تحليلية وحسّ نقدي كافٍ يمكنه من تكوين ذاته وإنتاج عمارة متلائمة مع ذواتنا و حاجاتنا

- بعد الاختبار الاجتماعي يأتي امتلاك إطار نظري و عملي لتعليم المشروع المعماري الذي يجب أن يهدف إلى السيطرة على هذا المشروع بكل تعقيداته. و تتم هذه السيطرة تدريجياً كما التعليم المتوزع على كافة سنين التعلم

أما الافتراض الثالث لتعليم معماري سليم، فيكون بامتلاك المنهج التربوي الملائم، القائم على الاختلاف و الوعي به و تنميته عند المعمار الفرد، و على تنمية طاقات التعبير و الإبداع عنده عبر اكتشاف أهمية وجمال ما يفعل وعبر ما ينضمه عالم الأشكال من تراءٍ مدهش، و على تحريك الرغبة فيه بإعطاء الأفضل عبر المقارنة وعبر الطموح إلى التفوق

وقد نستطيع اختصار الموضوع بما ذكره المتحدث من "أن إعداد المعمار الفرد المحترف والمبدع هو بالذات هدف التعليم